سلسلة : معالم بلدى

# دلتا النيل

دكتور

حسن عبد الله الشرقاوي

مكتبة الإيمان ـ المنصورة

ت/ ٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

## دلتا النيل

( نديم ) ولد مجتهد ومتفوق فى دراسته . يحب القراءة كثيرًا ، كما يحب ألعاب الكمبيوتر ، ويهوى زيارة الأماكن التاريخيه ومشاهدة المعالم الأثرية .

كثيرًا ما يطلب ( نديم ) من أبيه أن يشرح له دروس التاريخ، ويحكى له عن معالم البلدان . ولأن والد (نديم ) يعشق ذلك الأمر فقد قرر أن يدعم حكاياته منذ البداية بالرؤية على الطبيعة .

جمع الأب ابنه ( نديم ) وابنته ( نوران ) ومعهما زوجته ، واتفق معهم على زيارة مدينة رشيد التى تبعد عن الإسكندرية حوالى ٦٠كيلو متر شرقًا .

فى الطريق إلى رشيد قال الأب :

ـ رشيد من أهم مدن محافظة البحيرة ، ولها موقع متميز إذ تجمع بين شاطئ النهر وشاطئ البحر ، فهى تقع عند مصب رشيد على البحر المتوسط . ورشيد مدينة عريقة ، وغنية بالآثار الإسلامية متمثلة فى قلعة قايتباى ومسجد أبى مندور، وعدد كبير من المنازل العتيقة تنتشر بإحيائها ويعود تاريخ نشأة بعضها



إلى ٧٠٠ سنة مضت . . !!

وصلت الأسرة إلى رشيد فقال الأب :

ـ بأى مكان تريدون البدء بالزيارة ؟

قالت ( نوران ) :

ـ بالقلعة يا أبى . .

قال ( نديم ) :

ـ لا . . لا . . بالمنازل . .

قالت الأم :

ـ لنبدأ بالمسجد فهو فى طرف البلدة ثم نتجه بعد ذلك إلى المنازل والمتحف ، ونختم بالقلعة . .

قال الأب :

ـ وهو كذلك . . لنأخذ برأى أمكما فهو الراجح عندى . .

عند سفح ربوة أبى مندور توقفت السيارة ونزل أفراد الأسرة قاصدين المسجد حيث تحدث الأب عن نشأته فقال :

ـ يقع مسجد أبى مندور فى جنوب مدينة رشيد وقد بُنى بأمر من الخديوى عباس الثانى سنة١٣١٢هـ . ويُنسب المسجد إلى أحد الصالحين يدعى « محمد أبو مندور » المتوفى عام

١٠٠٢م . ويُقال أنه نزح إلى مصر قادمًا من كربلاء بالعراق حيث استقر ١١ سنة يعلم الناس أمور الدين . ومما يذكر أن هذا الصالح من نسل الإمام على رضى الله عنه . وللمسجد ثلاثة أبواب وستة شبابيك ومئذنة من دور واحد . ولضريح أبى مندور قبة عاليه لها ثمانى شبابيك . وبداخل المسجد خزان للمياه من الرخام لا يزال يُستخدم حتى الآن . ولموقع مسجد أبى مندور بما حوله من ربوة عالية وغابة للنخيل وشجيرات التين الشوكى وبما يطل على نهر النيل أثر فى النفس حيث يغمر المشاهد بالسعادة والارتياح . . !!

أشار ( نديم ) من فوق الربوة بعيدًا وسأل أباه قائلاً :

ـ ما هذه الأماكن التى هناك يا أبى ؟

قال الأب :

ـ إنه الريف المصرى يا ولدى . . وهناك على مسافة عشرين كيلو متر توجد قناطر إدفينا التى بُدأ العمل فى إنشائها سنة١٩٤٩م وافتتحت سنة١٩٥١م . وقرب قرية إدفينا تقع قرية ( إبيانة ) مسقط رأس الزعيم ( سعد زغلول ) . .

سألت ( نوران ) قائلة :

ـ ولماذا بُنيت هذه القناطر يا أبى ؟

أجاب الأب :

ـ قبل بناء السد العالى كانت مصر تتعرض لخطر الفيضان فى شهر أغسطس من كل عام . وعادة ما كان يهبط مستوى الماء فى مجرى النهر قبل موسم الفيضان فيحدث أن يدخل ماء البحر وهو مالح كما تعرفون حتى يصل إلى القناطر الخيرية بالقليوبية فيفقد الناس مصدر شربهم وتتلف مزروعاتهم أى أن القناطر كانت تمنع الماء المالح من الوصول إلى داخل النهر جنوبا .

انتقل الأب بأسرته إلى وسط المدينة حيث زاروا متحفها الذى يعود تاريخ إنشائه إلى القرن الـ ١٨ الميلادى ، ويُعرف بإسم منزل ( عرب كلى ) ويُعرض فيه مجموعات تمثل تاريخ رشيد الوطنى . .

بعد ذلك تفقدت الأسره شوارع رشيد حيث زاروا عددًا من منازلها القديمة كان من بينها منزل الأمصيلى الذى قال عنه الأب :

ـ بناه عثمان أغا الطوبجى باشا سنة١٢١٣م ويتكون المنزل من ثلاثة أدوار رئيسية ، الدور الأرضى منها يستخدم كمخزن للغلال ومكان لإقامة الخدم ، أما الدورين العلويين فلإقامة الرجال ولاستقبال الضيوف ومجالس الطرب وبالمنزل حمام له فرن لتسخين المياه . ونجارة المنزل رائعة فهى كما ترون مطعمة

بالصدف وسن الفيل . أما أرضية المنزل فمن الرخام الجيد الصلب . .

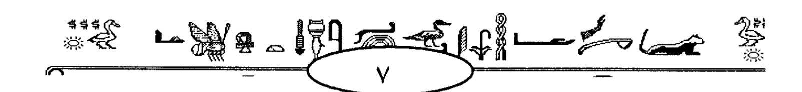
انطلقت الأسرة بسيارتها لزيارة قلعة قايتباى وهناك قال الأب :

ـ أنشأ هذه القلعة السلطان الأشرف قايتباى صاحب قلعة الإسكندرية وذلك فى عام ٨٨٤هـ . وفى عصر السلطان الغورى تم تحصينها ، كما بنى سورًا للمدينة على ساحل البحر سنة٩٢٢هـ . وأثناء الحملة الفرنسية على مصر عدل الفرنسيون أبراج القلعة وأحاطوها بسور من الطوب الأحمر . أعُيد ترميم القلعة فى عام ١٩٨٥م ، كما أقيم حاجــز دائم لصـد الأمواج من الجهة الشرقية . .

عادت الأسرة إلى الإسكندرية سعيدة بهذا اليوم الجميل فى رشيد .

ومرت الأيام وبقى على العيد يومان فأخبر الأب أسرته بأن يجهزوا أنفسهم لقضاء أجازة عيد الأضحى بمدينة المنصورة حيث يعيش الجد والجدة والأعمام والعمات وأبنائهم . فرح ( نديم ) بما سمعه من أبيه كثيرًا وقال :

ـ سوف يكون بإذن الله عيدًا مباركًا . . !



قال الباقون مبتسمين :

ـ إن شاء الله يا نديم . . !

أعدت الأسرة أشياءها فى يوم الوقفة وانطلقوا قاصدين المنصورة . وفى الطريق توقف الأب بهم للاستراحة فسأل (نديم) قائلاً :

ـ أين نحن الآن يا أبى ؟

قالت ( نوران ) مسرعة :

ـ اقرأ اللافتة يا نديم . . نحن فى طنطا . .

قال ( نديم ) :

ـ أليس بطنطا أى معالم أو مزارات يا أبى ؟

أجاب الأب :

ـ بلى يا ولدى . . بطنطا ذاتها متحف افتتح فى عام ١٩٩٠م ، ويضم مجموعة من آثار طنطا وغيرها مما عُثر عليه بالمناطق المجاورة وسوف نزوره عند عودتنا من المنصورة .

صمت الأب برهة ثم قال :

ـ تعرفون أن مدينة طنطا هى عاصمة محافظة الغربية ، وبالمحافظة مناطق أثرية معروفة منها : مدينة ( صالحجر ) وقرية

( أبو صيرينا ) .

و(صالحجر) هذه مدينة فرعونية قديمة تتبع مركز بسيون واسمها الفرعونى هو ( سايس ) . ومما وُجد بها من آثار : توابيت حجرية وحلى ومشغولات ذهبية وأوانى فخارية ولوحات فرعونية ، كما عُثر بها على حمام رومانى عتيق . أما قرية ( أبو صيرينا ) فهى قرية صغيرة تبعد عن مركز سمنود حوالى ٦ كيلو مترات . ومن الآثار التى اكتشفت بها : أعمدة رومانية وتوابيت وتماثيل وأبواب صخريه .

فى السيارة قال الأب لأسرته :

ـ هناك موقع أثرى هام يتبع مدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ . .

قاطع ( نديم ) أباه قائلاً :

ـ وما هو هذا الموقع يا أبى ؟

قال الأب :

ـ أنه « تل الفراعين » وقد عُثر به على بقايا معابد وأفران لحرق الفخار وحمامات وعملات معدنيه من العصر البطلمى . كذلك عُثر به على حوائط من الطوب اللبن يعود تاريخها إلى العصر اليونانى والرومانى . . !

وصلت الأسره مدينة المنصورة وقابلوا الأهل والأحباب وفى صباح اليوم التالى خرج ( نديم ) مع أبيه لقضاء صلاة العيد فى الخلاء ، وما إن عادوا إلى البيت حتى اجتمع كل أفراد العائلة لذبح خروف العيد . .

فرغت العائلة من الذبح وفرقوا اللحوم على الجيران والفقراء ثم جلسوا يتناولون الغذاء على مائدة واحدة . .

بعد الغذاء سأل ( نديم ) أباه وسط أطفال العائلة :

ـ ألن تحدثنا يا أبى عن معالم المنصورة . . ؟؟

ابتسم الأب وقال :

ـ بكل سرور . . ولكن دعونا نحكى قصة المدينة أولاً . . القصه تبدأ يا أبنائى منذ أمد بعيد حين كان الأوربيون يقومون بشن حروبًا على بلاد الشام ومصر باسم الصليب . وقد احتلوا بلاد الشام فترة طويلة من الزمان إلى أن جاء صلاح الدين الأيوبى وحرر القدس سنة١١٨٧م بعد أن هزمهم فى معركة حطين الشهيرة. وفى سنة٦١٥هـ ( ١١٩٩ م ) أمر البابا (أوسنت الثالث) ملوك وأمراء أوروبا بشن الحملة الصليبية الخامسة على مصر فى عهد الملك العادل الأيوبى أخو الملك صلاح الدين الأيوبى . . وللعلم يا أبنائى فعدد الحملات

الصليبيه على بلاد الإسلام بلغت ثمانى حملات . . !!

وفى الحملة الخامسة نجح الصليبيون فى دخول مدينة دمياط وفى هذا الوقت توفى الملك العادل فخلفه فى الجهاد ابنه الملك الكامل الذى ظل يقاومهم مدة ثلاث سنوات حتى اتحد مع أخوه الملك الأشرف ولقوا العدو عند فرع دمياط وهزموا الصليبين هـزائـم منكـرة طـردوا على آثارها مـن مصر سنة ٦١٨هـ (١٢٢٢م) . .

عاود الصليبيون هجماتهم الاستعمارية بعد ٢٨ سنة ضد مصر ، ولكن جيوش الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل عسكرت فى المنصورة بقواته وظل يقاومهم مدة عامين حتى كانت المعركه الفاصله بين الجانبين . وفى هذه الأثناء توفى الملك الصالح فتولت زوجته الملكة (شجرة الدر)وابنه(توران شاه) أمور القياده وهُزم الجيش الصليبى بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا وأسر هو وزوجته وعدد كبير من الأمراء والقاده . .

سُجن الملك لويس التاسع بدار ابن لقمان بمدينة المنصورة إلى أن أُفتدى هو ومن معه بأموال كثيرة ، بلغت ١٠ مليون فرنك آنذاك فأفرج عنه وعاد ذليلاً إلى وطنه وقد أُطلق عليه لقب الملك الحزين . . !!

سألت ( نوران ) :



- وهل هذه الدار لا تزال موجودة إلى الآن يا أبى ؟

أجاب الأب قائلاً :

- نعم يا ابنتى .. وسنزورها بمشيئة الله بعد العيد مباشرة..

انقضى العيد واصطحب الأب أبنائه وأطفال العائلة لزيارة دار ابن لقمان الكائنه بشارع بورسعيد بوسط المدينة .. وهى نفس الدار التى سجن بها لويس التاسع وكانت دار قاضى المنصورة ( فخر الدين إبراهيم بن لقمان ) وتتكون الأجزاء الباقية من الدار من طابقين وقد سُجن لويس التاسع فى الغرفة الكبرى بالطابق العلوى بينما سجن أشقائه فى الغرفتين بالطابق السفلى . وكانت الغرف تضاء بمصابيح زيتية لا تزال موجودة حتى الآن . وأسفل السلم المؤدى إلى الطابق العلوى يوجد زير مياه قديم ، فريد فى شكله وصنعه .. وقد أُعدت الدار كمتحف وافتتحت للزيارة فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٠م ..

ومن ملحقات المتحف الحالى صالة العرض وبها مجموعة من اللوحات الزيتية الحديثة وبعض الخرائط التى تصور المعارك التى دارت ومواقعها ، ومجموعة من التماثيل الرمزية وأخرى نصفية لشجرة الدر وتوران شاه . وبصالة العرض أيضًا أريكتان

قديمتان وكرسى وصينية نحاسية وخوزة الملك الأسير وبعض السيوف والخوزات التى يعود تاريخها إلى ٨٠٠ سنة مضت !!

فى صباح اليوم التالى أخبر الأب أسرته بأن عليه زيارة واحد من أصدقائه القدامى بمدينة الزقازيق .. طلب ( نديم ) من والده أن يذهبوا معه فوافق الأب قائلاً :

- إنها فرصه لتزوروا مدينة الزقازيق وتشاهدوا بعض معالمها..

استقلت الأسرة سيارتها الخاصة وانطلق بهم الأب فوصلوا الزقازيق بعد أقل من ساعة .. حدثهم الأب فى الطريق عن محافظه الشرقية وعاصمتها الزقازيق فقال :

- أرض الشرقية أرض لها تاريخ فقد كانت محطة هامة للعابرين والقادمين زائرين وفاتحين وغزاه .. بلغ عليها نبى الله يوسف أشده وقوى وتلقى الحكمة والنبوة وتولى فيها أعمال الوزارة .. وولد عليها نبى الله موسى ثم وضعته أمه فى التابوت وألقته فى اليم وهو ما يعرف الآن ببحر (مويس) ومرت بها السيدة مريم العذراء ومعها ولدها السيد المسيح وأقامت بها بشكل مؤقت .. فتحها عمرو بن العاص سنة٢١هـ وبنى أول جامع فى مصر فى مدينة بلبيس التابعة للمحافظة وعرف حينذاك بجامع « سادات قريش » .. وعبرت أرض الشرقيه بعد

ذلك السيده زينب ابنة الإمام على رضى الله عنه وبصحبتها السيدة فاطمة النبوية والسيدة سكينة ابنتا الحسين بن على رضى الله عليهم أجمعين . .

وبمحافظة الشرقية أكثر من ١٠٠ موقع أثرى أشهرها تل بسطة وصان الحجر . . وتشتهر المحافظة منذ القدم بتربية الخيول الأصيلة ولذا فإن شعارها عبارها عن حصان أبيض وسط مساحه من الخضرة . . وتحتفل الشرقية بعيدها القومى فى يوم ٩سبتمبر من كل عام وهو ذكرى اليوم الذى وقف فيه ابنها الزعيم أحمد عرابى سنة١٨٨١م بميدان عابدين مطالبًا الخديوى توفيق بحقوق الجيش والشعب . . !!

أما مدينة الزقازيق فقد أقيمت سنة١٨٣٢م حول قناطر الرى التى أنشأها محمد على باشا وعُرفت بالقناطر التسعة . .

وصلت الأسرة منزل الصديق الذى قابلهم بترحاب وحفاوة. وقضت الأسرتان وقتًا ممتعًا وزاروا منطقة تل بسطة الأثرية وتجولوا بالمدينة . .

عند تل بسطة قال الأب :

ـ كانت تل بسطة إحدى عواصم مصر القديمة وإشتهرت بإنها مركز دينى هام واسمها القديم هو ( بوبست ) ولا تزال

هناك أعمال حفر تكشف كل يوم عن آثار من مختلف العصور التاريخية . .

زارت الأسرة متحف تل بسطة ورأوا به مجموعات من الآثار الفرعونية المدهشة . .

بعد ذلك حدث صديق الوالد أبناء الأسرتين عن صان الحجر فقال :

ـ اسمها في الكتب السماوية هو ( صوعن ) وفى لغة المصريين القدماء هو (جعنت ) وفى لغة اليونانيين القدامى هو (تانيس ) أما العرب فقد أسموها صان الحجر لكثرة ما بها من آثار وأحجار قديمــة منقوشة. . ومن أهم آثار صان الحجر مجموعة تماثيل تشبه أبا الهول، وبقايا معبد شيده الملك بيبى الأول، إلى جانب مسلات ضخمة من الجرانيت أقيمت فى عهد الملك رمسيس الثالث، ومقابر ملكية ، ولوح الـ ٤٠٠ عام لرمسيس الثانى، وهو الآن من معروضات المتحف المصرى بالقاهرة . .

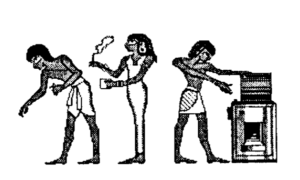
ولصان الحجر متحف تعرض فيه مجموعات من الآثار المكتشفة فى المنطقة وفى بعض المناطق المجاورة مثل : تل الضبعة ـ قنطير الختاعنة ـ تل بسطة . . وغيرهم .



سألت ( نوران ) قائله :

ـ أين ولد أحمد عرابى يا أبى ؟

أجاب الأب :



ـ وُلد الزعيم أحمد عرابى بقرية ( هرية رزنة ) سنة١٨٤١م وتوفى فى عام ١٩١١م . وبالقريه متحف أنشئ سنة١٩٦٥م وألحق فى أول الأمر بقصر ثقافة مدينة الزقازيق ، ثم نُقل إلى القريه ذاتها . ويضم المتحف مجموعة من متعلقات الزعيم ومعروضات تمثل كفاحه ضد المحتل والخديوى . .

عـادت الأسـرة إلـى بيتهـا بالإسكندرية بعد أجازة عيد ممتعـة . . !!